ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا تحمله فيميله او تعدله ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر
لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى
من غير رقة ويبغض ويغضب من غير مشقة يقول لما اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع
وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا
الشرح في هذا الفصل مباحث اولها ان البارى تعالى لا يوصف بشيء من الاجزاء اى ليس بمركب لانه لو كان مركبا
لافتقر الى اجزائه واجزاؤه ليست نفس هويته وكل ذات يفتقر هويتها الى امر من الامور فهي ممكنة لكنه واجب الوجود
فاستحال ان يوصف بشيء من الاجزاء وثانيها انه لا يوصف بالجوارح والاعضاء كما يقول مثبتو الصورة وذلك
لانه لو كان كذلك لكان جسما وكل جسم ممكن وواجب الوجود غير ممكن وثالثها انه لا يوصف بعرض من الاعراض
كما تقوله الكرامية لانه لو حله العرض لكان ذلك العرض ليس بان يحل فيه اولى من ان يحل هو في العرض لان معنى الحلول
حصول العرض في حيز المحل تبعا لحصول المحل فيه فما ليس بمتحيز لا يتحقق فيه معنى الحلول وليس بان يجعل محلا اولى من
ان يجعل حالا ورابعها انه لا يوصف بالغيرية والابعاض اى ليس له بعض ولا هو ذو اقسام بعضها غير البعض الآخر
وهذا يرجع الى البحث الاول وخامسها انه لا حد له ولا نهاية اى ليس ذا مقدار ولذلك المقدار طرف ونهاية لانه لو كان
ذا مقدار لكان جسما لان المقدار من لوازم الجسمية وقد ثبت انه تعالى ليس بجسم وسادسها انه لا انقطاع لوجوده ولا عشرة
غاية لانه لو جاز عليه العدم في المستقبل لكان وجوده الآن متوقفا على عدم سبب عدمه وكل متوقف على الغير فهو
ممكن في ذاته والبارى تعالى واجب الوجود فاستحال عليه العدم وان يكون لوجوده انقطاع او ينتهي الى غاية
يعدم عندها وسابعها ان الاشياء لا تحويه فتقله اى ترفعه او تهويه اى تجعله هاويا الى جهة تحت لانه لو كان
كذلك لكان ذا مقدار اصغر من مقدار الشيء الحاوى له لكن قد بينا انه يستحيل عليه المقادير فاستحال كونه محويا
وثامنها انه ليس يحمله شيء فيميله الى جانب او يعدله بالنسبة الى جميع الجوانب لان كل محمول مقدر وكل مقدر
جسم وقد ثبت انه ليس بجسم وتاسعها انه ليس في الاشياء بوالج اى داخل ولا عنها بخارج هذا مذهب الموحدين والخلاف
فيه مع الكرامية والمجسمة وينبغي ان يفهم من قوله عم ولا عنها بخارج انه لا يريد سلب الخروج فيكون قد خلا من النقيضين
لان ذلك محال بل المراد بكونه ليس خارجا عنها انه ليس كما يعتقده كثير من الناس ان الفلك الاعلى المحيط لا يحتوي عليه
ولكنه ذات موجودة متميزة بنفسها قائمة بذاتها خارجة عن الفلك في الجهة العليا بينها وبين الفلك بعدا
ما غير متناه على ما يحكى عن ابن الهيصم او متناه على ما يذهب اليه اصحابه وذلك ان هذه القضية وهي قولنا
البارى خارج عن الموجودات كلها على هذا التفسير ليست مناقضة للقضية الاولى وهي قولنا البارى داخل
العالم ليكون القول بخلوه عنهما قولا بالخلو عن النقيضين الا ترى انه يجوز ان يكون القضيتان كاذبتين معا بان
لا يكون الفلك المحيط محتويا عليه ولا يكون حاصلا في جهة خارج الفلك ولو كانت القضيتان متناقضتين لاستحالة ذلك
لما استقام ذلك وهذا كما يقول زيد في الدار زيد في المسجد فان هاتين القضيتين ليستا متناقضتين لجواز
ان لا يكون زيد في الدار ولا في المسجد ولو تناقضتا لاستحالة الخروج عن النقيضين لكن المتناقض زيد في
الدار زيد ليس في الدار والذي يستشنعه العوام من قولنا البارى لا داخل العالم ولا خارج العالم غلط مبني
على اعتقادهم وتصورهم ان القضيتين متناقضتان واذا فهم ما ذكرناه بان انه ليس هذا القول بشنيع بل
هو سهل وحق ايضا فانه تعالى لا متحيز ولا حال في المتحيز وما كان كذلك استحال ان يحصل في جهة لا داخل العالم ولا
خارج العالم وقد ثبت كونه غير متحيز ولا حال في المتحيز من حيث كان واجب الوجود فاذن القول بانه ليس في الاشياء
بوالج ولا عنها بخارج صواب وحق وعاشرها انه تعالى يخبر لا بلسان ولهوات وذلك لان كونه تعالى مخبرا هو كونه
فاعلا للخبر كما ان كونه ضاربا هو كونه فاعلا للضرب فكما لا يحتاج في كونه ضاربا الى اداة وجارحة يضرب بها
كذلك لا يحتاج في كونه مخبرا الى لسان ولهوات يخبر بها وحادي عشرها انه تعالى يسمع بلا خروق وادوات وذلك

لان

لان البارى سبحانه حي لا آفة به وكل حي لا آفة به فواجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات ولا حاجة به سبحانه
الى خروق وادوات كما نحتاج نحن الى ذلك لانا احياء بحياة تحلنا والبارى تعالى حي لذاته فلما افترقنا فيما به كان
سامعا ومبصرا افترقنا في الحاجة الى الادوات والجوارح وثاني عشرها انه يقول ولا يلفظ وهذا بحث لفظي
وذلك لانه قد ورد السمع بتسميته قائلا وقد تكرر في الكتاب العزيز ذكر هذه اللفظة نحو قوله قال الله يا عيسى وقال
الله اني معكم ولم يرد في السمع اطلاق كونه متلفظا عليه وفي اطلاقه ايهام كونه ذا جارحة فوجب الاقتصار على
ما ورد وترك ما لم يرد وثالث عشرها انه تعالى يحفظ ولا يتحفظ اما كونه يحفظ فيطلق على وجهين احدهما انه يحفظ
بمعنى انه يحصي اعمال عباده ويعلمها والثاني كونه يحفظهم ويحرسهم من الآفات والدواهي واما كونه لا يتحفظ فيحتمل
معنيين احدهما انه لا يجوز ان يطلق عليه انه يتحفظ الكلام اى ان يتكلف كونه حافظا له ومحيطا بعلمه كالواحد منا
يتحفظ الدرس ليحفظه فهو سبحانه حافظ غير متحفظ والثاني انه ليس بمتحرز ولا مشفق على نفسه خوفا ان يبدر
اليه بادرة من غيره ورابع عشرها انه يريد ولا يضمر اما كونه مريدا فقد ثبت بالسمع نحو قوله تعالى يريد الله بكم اليسر
وبالعقل لاختصاص افعاله باوقات مخصوصة وكيفيات مخصوصة جائزا ان تقع على خلافها فلا بد من مخصص
لها بما اختصت به وذلك كونه مريدا واما كونه لا يضمر فهو اطلاق لفظي لم يأذن فيه الشرع وفيه ايهام كونه ذا قلب
لان الضمير في العرف اللغوي ما استكن في القلب والبارى ليس بجسم وخامس عشرها انه يحب ويرضى من غير رقة
ويبغض من غير مشقة وذلك لان محبته للعبد ارادته ان يثيبه ورضاه عنه ان يحمد فعله وهذا يصح ويطلق على
البارى لا كاطلاقه علينا لان هذه الاوصاف تقتضي اطلاقها علينا رقة القلب والبارى ليس بجسم واما بغضه
للعبد فارادة عقابه وغضبه كراهية فعله ووعيده بانزال العقاب به وفي الاغلب انما يطلق ذلك علينا ويصح مع
مشقة تنالنا من ازعاج القلب وغليان دمه والبارى ليس بجسم وسادس عشرها انه يقول لما اراد كونه كن فيكون
من غير صوت يقرع ولا نداء يسمع هذا مذهب شيخنا ابي الهذيل واليه يذهب الكرامية واتباعهما من الحنابلة وغيرهم
والظاهر ان امير المؤمنين عم اطلقه على ظاهر لفظ القرآن في مخاطبة الناس بما قد سمعوه وانسوا به وتكرر على
اسماعهم واذهانهم فاما باطن الآية وتاويلها الحقيقي فغير ما يسبق الى اذهان العوام فليطلب من موضعه وسابع
عشرها ان كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا هذا
هو دليل المعتزلة على نفي المعاني القديمة التي منها القرآن وذلك لان القدم عندهم اخص صفات البارى تعالى او موجب
عن الاخص فلو كان في الوجود معنى قديما قائما بذات البارى لكان ذلك المعنى مشاركا للبارى في اخص صفاته وكان
يجب لذلك المعنى جميع ما وجب للبارى من الصفات نحو العالمية والقادرية وغيرهما فكان الها ثانيا فان قلت
ما معنى قوله عم ومثله قلت يقال مثلت له كذا تمثيلا اذا صورت له مثاله بالكتابة او بغيرها فالبارى مثل القرآن
لجبرئيل عم في اللوح المحفوظ فانزله على محمد عم وايضا يقال مثل زيد بين يدي اذا حضر قائما ومثلته بين يدي زيد
اى احضرته منتصبا فلما كان الله تعالى فعل القرآن واحضره واظهره كان قد مثله للمكلفين الاصل لا يقال كان بعد
ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع و
المصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها باحد من خلقه
وانشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار واقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها
من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها واستفاض عيونها
وخد اوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه الشرح عاد عم الى تنزيه البارى تعالى عن الحدوث فقال لا يجوز ان
يوصف به فتجري عليه الصفات المحدثات كما تجري على كل محدث وروي فتجري عليه صفات المحدثات وهو اليق
ليعود الى المحدثات ذوات الصفات ما بعده وهو قوله عم ولا يكون بينه وبينها فصل لانه لا يحسن ان يعود الضمير
في قوله وبينها الى الصفات بل الى ذوات الصفات قال لو كان محدثا لجرت عليه صفات الاجسام المحدثة فلم يكن بينه

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)